فعقلاً فتذكراً فإيماناً! وعلى حد تعبير الرسول ﷺ «العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه»(١).

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾:

﴿خَلَقَ﴾ - ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ - ﴿ٱللَّهُ﴾ - ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ - ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ - ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ - فـ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ لها هنا تعلقات ثلاث، والباء فيها بين سببية وغائية ومصاحبة، فما السبب والغاية في خلقهما إلا الحق، دون باطل هازل، وما هما في خلقهما إلّا مصاحبتين للحق.

فحق الخلق فيهما مصاحباً اتقاناً ونظاماً بارعاً وتصميماً حكيماً قاصداً دون تفاوت: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾(٢) ذلك دليل أن خالقهما واحد عزيز حكيم.

وحق الخلق فيهما سبباً وغاية دليل حياتنا الحساب بعد الموت، فإن هذه الضئيلة القليلة، الفانية الهزيلة، البالية البلية، هذه لا تستحق ذلك الخلق الطائل الحكيم: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾(٣).

كما وحق الخلق لهما كخلق ينفي الولاية عنهما وما فيهما وما بينهما كخلق، فأين الخلق والولاية الخاصة بالخالق في الآخرة والأولى «ولله الآخرة والأولى»؟! إذاً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ التوحيد والمعاد والولاية ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولماذا فقط ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وكافة المكلفين يكلفون بالنظر فيهما حتى يعرفوا حق المبدء والمعاد؟ «المؤمنين» هنا هم الذين يؤمنون بالآيات

(١) المجمع روى الواحد بالإسناد عن جابر قال: تلا النبي ﷺ هذه الآية وقال: . . .
(٢) سورة الملك، الآية: ٣.
(٣) سورة الدخان، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

البينات، فمن الناس من يؤمن بها مهما كان ملحداً أو مشركاً، إذ بقيت له منافذ المعرفة، وهو يتحرى عن الحق المبين، فهم من المعنيين مع سائر المؤمنين المتفتحة قلوبهم لآيات الله الهية وأنفسية، المبثوثة في تضاعيف ذلك الكون البارع وحناياه، المشهودة في تنظيمه وتنسيقه، المنشورة المنثورة في جوانبه حيثما امتدت الأبصار ومدت البصائر والأفكار، ومنهم من يجحد بها مهما كان مدعياً للإيمان، فهم ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[١] - ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ المتعنتون المتعندون الذين ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾[٢]!

﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾:

هنا الرسول ﷺ يؤمر - بعد عرض مسارح الغابرين ومصارعهم - أن يتلو ما أوحي إليه من الكتاب ويقيم الصلاة، معللة بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتأكيداً أن ذكر الله أكبر ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ إزاحة لما تخالجه من صعوبات الدعوة لقوم لدّ، فما هي تلاوة الكتاب؟ وما هو نهى الصلاة، وما هو هنا ذكر الله، ومم هو أكبر؟

التلاوة ليست هي - فقط - القراءة، بل هي - ككل - متابعة الشيء أن يجعله أمامه وإمامه، فهو يكون تابعه وخلفه كما ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾[٣] ﴿وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾[٤] حيث القمر لا يقرء الشمس، وشاهد من الرسول ﷺ لا يقرأه، وإنما هي متابعة المأموم إمامه، أن

(١) سورة البقرة، الآية: ٦.
(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.
(٣) سورة الشمس، الآيتان: ١، ٢.
(٤) سورة هود، الآية: ١٧.

يجعله أمامه في كل الحقول والحالات أم في قسم منها مقسّم حسب قضية الائتمام والإمامة.

فـ ﴿ٱتْلُ﴾ هنا دون «واتل عليهم» تعم تلاوة الكتاب لنفسه أن يجعله إمامه، وتلاوة الكتاب عليهم أن يقرءه عليهم ليجعلهم تالين الكتاب، والأولى هي الأولى في طبيعة الرسالة، فما لم يتلوا الرسول ما اوحي إليه من الكتاب ائتماماً به ككل، ليس عليه ولا له أن يتلوه عليهم، حيث الآمر بائتمام الكتاب عليه أن يأتمر من قبل حتى يأمر.

فهو يتلوا في نفسه الكتاب تعلماً وتزكياً، ثم ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] كما ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[2] فإن «رتل» تقتضي ترتلاً أولاً ثم ترتيلاً لآخرين، وهو فيهما تحريك القلب بالقرآن كما يروى عنه ﷺ[3].

ثم ﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ تختص التلاوة بما مضى وحيه، ولأن ﴿أَتْلُ﴾ أمر رسالي يستمر طول رسالته، فقد أمر بها أن يتلو كلما أُوحي إليه طول الزمن الرسولي، ولأن وحي الكتاب مستمر حتى ارتحاله إلى جوار ربه، فالتلاوة أيضاً مستمرة كوحي الكتاب، فهو دائب في مثلث الوحي وتلاوته لنفسه وتلاوته عليهم، وقد قرّرت هذه التلاوة ككلّ رسالته ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾[4].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هنا لها أبعاده عدة، صلة إلى حال الرسول، وتلاوته الكتاب، فحاله المتأذية من تعنّد قومه اللّد تقتضي رياحة وهي الحاصلة بالصلاة، لأنها صلات بالرب، واطمئنان للقلب المتأرجف برجفات المتخلفين عن شرعة الله، وهكذا «كان إذا غمه أمر استراح إلى الصلاة»

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٢) سورة المزمل، الآية: ٤.
(٣) حيث يسأله ابن عباس عن معنى الآية فقال: يعني حركوا به القلوب.
(٤) سورة النمل، الآية: ٩٢.

وبعد ثان أنّ أنتج ما تنتجه تلاوة الكتاب لنفسه وعليهم هو إقام الصلاة فإنها عمود الدين، و«أقم» هنا تجعل الصلاة مقامة بشروطها وأجزائها وأركانها ظاهرة فقهياً وباطنة معرفياً، فقد تؤتى الصلاة دون إقامة، وهي الصلاة في سكر أم في كسل ذلك بأنهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾[١] فهي صلاة قاعدة، متخلفة عن القاعدة فيها وهي إقامتها، وهي - في الحق - ليست إلّا التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، مهما شملت الصلاة كل صلاة بريئة عن النفاق، وقد «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق؟ قال ﷺ: انه سينهاه ما تقول»[٢] وهذا من أقل ما تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر وأقل منه أن «الصلاة حجزة الله وإنها تحجز المصلي عن المعاصي ما دام في صلاته»[٣]، وكضابطة ثابتة للصلاة «من صلى صلاة لم تأمره بالمعروف وتنهه عن المنكر لم تزده صلاته من الله إلا بعداً»[٤] «من أحب أن يعلم قبلت صلاته أم لم تقبل فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعته قبلت صلاته»[٥] ف «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر»[٦].

فكما تقام الصلاة، فهي بقدرها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فيها وهو

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٤.
(٢) الدر المنثور ٥: ١٤٦ - أخرج أحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال جاء رجل... وفي نور الثقلين ٤: ١٦٢ عن مجمع البيان وروي ان فتى من الأنصار كان يصلي الصلوات مع رسول الله ﷺ ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إن صلاته تنهاه يوماً ما.
(٣) المصدر ١٤٥ - أخرج الخطيب في رواة مالك عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: ...
(٤) نور الثقلين ٤: ١٦١ في كتاب التوحيد وقد روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: ... قال الله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].
(٥) نور الثقلين ٤: ١٦٢ عن المجمع وروى أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ...
(٦) نور الثقلين ٤: ١٦١ عن المجمع وايضا عن النبي ﷺ: ...

أقلها، وفي كافة الحالات عن كل دركات الفحشاء والمنكر وهو قمتها وبينهما متوسطات.

فملابس المصلي تنهاه عن اغتصابها، وطهارته عن خبث وحدث تنهاه عن التصرف في طهور من غير حله، وطهارته ككل تنهاه عن التقدر ككل، واستقباله القبلة تنهاه عن استقبال ما سواها، وافعال الصلاة من قيام لله وقعود وركوع وسجود تنهاه عن كل ذلك لغير الله، وأقوال الصلاة تأمره أن يعتنق ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وألّا يعبد ويطيع إلّا الله.

ونية الصلاة تنهاه أن ينويها لغير الله شركاً جلياً، أم خفياً أن يصلي رئاء الناس، كما تنهاه أن ينوي أية عبادة أم وسواها لغير الله.

كما وأهم من كل ذلك اتجاه القلب إلى الله حضوراً عنده في الصلاة، ينهاه عن كل فحشاء ومنكر قلبي قدر ذلك الحضور والاتجاه.

وكضابطة عامة قالات الصلاة وفعالاتها وحالاتها، إذ كانت مقامة، إنها بأقدارها وحدودها تنهى عن الفحشاء والمنكر قالاً وفعالاً وحالاً، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1]. فالصلاة بكل أحوالها وأفعالها وأقوالها تنهى عن الفحشاء والمنكر، انتهى المصلي بنهيها أم لا، فقد تنهي الفحشاء والمنكر بما تنهى وذلك لمن ينتهي، وقد لا تنهي رغم ما تنهى، فالنهي - إذاً - طبيعتها، والإنهاء قد يتخلف عنها فإنها تنهى دون تسيير وكما الله ينهى ورسله والدعاة إليه تخييراً دون تسيير.

وحين تقام الصلاة بكل ما يتوجب فيها بظاهرها وباطنها، وتكون مزيجاً لنفس المصلي بظاهرها وباطنها، إذاً فهي تنهي بنهيها الفحشاء والمنكر، من فحشاء العقيدة والأخلاق والأعمال والأقوال، وهي المتجاوزة حدها في التخلف عن شرعة الله، أو المتجاوزة إلى غير العاصي، أم المتجاوزة في

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.

بعديها، والمنكر هو كل ما تنكره الشرعة صغيرة وكبيرة، وهو هنا أدنى من الفحشاء.

ولأن جوهرة الصلاة هي ذكر الله، وسائر ما فيها إنما هي تعبئة وتقدمة لذكر الله، إذا ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ - وهو الصلاة ككل - «أكبر» من ذكر غير الله، وغير ذكر الله، كما وإن «ذكر الله» في الصلاة غير التامة في الذكر، إنه أكبر من سائر أجزاء الصلاة، كما وهو أكبر من كل ذكر وذكر كل كما ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[١] فذكر الله هو الرادع عن الفحشاء والمنكر، وكلما كان ذكر الله أكثر وأقوى، كان نهيه عن الفحشاء والمنكر أشمل وأحوى، وليست المعصية على أية حال إلّا بنسيان ذكر الله، والغياب عن حالة الحضور، فـ «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». الله هناك مفعول الذكر حين تعني «ذكر الله» ذكرك الله «عندما أحل وحرم»[٢] عامة وفي الصلاة خاصة، وإذا كان فاعلاً فهي ذكر الله إياك و«ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إياه ألا ترى أنه يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[٣]، فهو - إذاً - أكبر من الصلاة التي هي ذكرك الله كما أن أذكرك الله هو أكبر شيء في صلاة وسواها، وقد أمرت بالصلاة لذلك الذكر ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾.

فذكرنا الله يمنحنا روحية على قدر المستطاع لنا وهو محدود قد يحصل معها عصيان أو لمم، وأما ذكر الله إياناً أن يعصمنا عن الزلل فهو عصمة عن كل عصيان أو لم، وعن كل جهل أو جهالة أو خطأً علمي أو عملي، وهي المعبر عنها ببرهان الرب ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[٤]

(١) سورة طه، الآية: ١٤.
(٢) نور الثقلين ٤: ١٦٢ عن المجمع وروى أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولذكر الله اكبر - قال: ذكك الله...
(٣) المصدر عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ولذكر الله أكبر...
(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

وهو التثبيت من الرب: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[١].

إذاً فـ «ذكر الله» هنا في مثلث: الصلاة - ذكر الله في الصلاة - أن يذكرنا الله بما نذكره فيتم الحضور ويطم كل كياننا فنعبد الله كأننا نراه.

فكما الصلاة هي قلب العبادات، كذلك الذكر هو قلب الصلاة، وليس هو إلّا في قلب المصلى، وليس ذكر الأفعال والأقوال إلّا إذاعة عن ذكر القلوب والأحوال، والمصلي الحقيقي يصبح كله ذكراً الله، في حاله وقاله وأفعاله، لا يغيب عن حضرة الربوبية في صلاته، فالفحشاء هنا أن يتجاوز عن ذكر الله إلى سواه، والمنكر أن يذكر نفسه وهو تارك ما سوى الله، فكما تزول عنه سائر الحجابات بينه وبين الله وهي الفحشاء، كذلك يزول عنه حجاب نفسه بينه وبين الله وهو المنكر، فلا يبقى بينه وبين الله أحد حتى نفسه:

بيني وبينك إني ينازعني فارفع بلطفك إني من البين

وأعلى القمم من ذكر الله ما حصل لرسول الله ﷺ في معراجه حين ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[٢] ففي دنوه أزال حجابات الفحشاء وهي التوجه إلى غير الله، وفي تدلّيه أزال حجاب نفسه وهو التوجه إلى نفسه، فأصبح بكلمة منمحياً في الاتجاه إلى الله فلم يبق بينه وبين الله إلّا حجاب ذات الألوهية الذي لن يرتفع لمن سوى الله.

مقام ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ هو قضية أن يذكره الله فيعصمه، وقبلهما من مقامات القرب والحضور هي قضية أن يذكر هو الله، والعصمة حصيلة الذكرين أن تذكر الله كأعلى القمم المستطاعة لك فيذكرك الله، ذكراً على غرار الذكر فإنه

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٤.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ٨، ٩.

فيهما درجات، و﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[١] تلمح أن قدر ذكر الله لك هو قدر ذكرك الله ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٢] و«إن السابقين الذين يسهرون بذكر الله ﷻ ومن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله ﷻ »[٣].

فالصلاة بدرجاتها تنهى عن الفحشاء والمنكر بدركاتهما، من فحشاء ومنكر قالبيين قالاً وأفعالاً، وقلبيين أحوالاً، إلى أن تصل إلى خرق الحجب، ثم وخرق حجاب نفسك، فتصل إلى القمة المعرفية وهي خاصة بصاحب المعراج.

فكل ما سوى الله ومن سوى الله في صلاتك هي بين فحشاء ومنكر، بين محرم في شرعة الفقاهة، ومحرم في شرعة المعرفة، فلا يحل الاتجاه في الصلاة إلى غير الله، ولا على أية حال، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ في صلاتكم وسواها، يعلم صلات صلاتكم وانفصالاتها، وكما يعلم من ذكركم فيما يذكركم، وقد يعلم أن كلها انفصالات فلا يذكركم، فلو لا أن الله أمرنا بالصلاة لكانت أكثرية الصلوات محرمة لأنها تمس من كرامة الربوبية، حين نصلي الله، وقلوبنا خاوية عن ذكر الله، نفتش عن سائر ضالاتنا في الصلاة وننسى ضالتنا المنشودة فيها وهو الله والصلاة كلها تصوغ بصيغتها ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾!

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.

(٣) نور الثقلين ٤: ١٦٢ عن معاذ بن جبل وقال ﷺ يا معاذ ان السابقين... وعنه قال سألت رسول الله ﷺ اي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: إن تموت ولسانك رطب من ذكر الله ﷻ.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾:

يروى عن النبي ﷺ إنه قال: «نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبياً»[1] فلقد كان يجادل أهل الكتاب وسواهم بالوحي الرسالي كله، المجموع في القرآن كله، فالقرآن برمته هو الجدال بالتي هي أحسن في كل الحقول، وبمستوى كل العقول، فلا أحسن منه ولا يسامى، فلنجادل أهل الكتاب كما يجادلهم الله في القرآن، دون سائر الأساليب المختلفة المختلقة مهما كانت حسنة حيث الفرض هو الأحسن، ومن جدالهم بالتي هي أحسن: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ وهي قولة المواصلة دون أية مفاصلة، فأحسن الجدال أن تتبنّى المواصلات بينك وبين مجادلك، فتخرج بذلك عن المفاصلات فتوصله إن استطعت إلى حقك، أم ولأقل تقدير لا تبعده عنك أكثر مما هو بعيد عنك، وقد يروى عن رسول الهدى ﷺ قوله: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا . . . وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾»[2]، وهنا ﴿بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ هو القرآن، و«الذي أنزل إليكم» هو سائر الوحي النازل إلى أهل الكتاب توراة وانجيلاً وسواهما من كتاب، وذلك لا يعم كل الذي عندهم من خليط الوحي بسواه وإنما ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾.

(١) نور الثقلين ٤: ١٦٢ عن الاحتجاج للطبرسي وروي عن النبي ﷺ: . . .

(٢) الدر المنثور ٥: ١٤٧ عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: . . .
فيه عن أبي نملة الأنصاري ان رجلاً من اليهود قال لجنازة انا اشهد انها تتكلم فقال رسول الله ﷺ إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا . . .﴾ [العنكبوت: ٤٦] فإن كان حقاً لم تكذبوهم وان كان باطلاً لم تصدقوهم، وفيه عن جابر قال قال رسول الله ﷺ لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ما إن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلّا ان يتبعني.

وأما ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ فالمثلثون من النصارى وسائر المنحرفين منهم ومن اليهود عن حاق التوحيد وحقه ليس إلهكم إلهنا، فكيف يكون ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾؟

الإله الأصل هو المتفق عليه بين كافة أهل الكتاب وهو الذي نوحّده بيننا وبينهم ونؤمن به، ثم الأقنوم الثاني والثالث، والولد، والجسمانية وأشباهها هي الفاصل بيننا وبينهم، ونحن لا نتفق معهم إلّا في المتفق عليه بيننا ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾ لا لسواه ﴿مُسْلِمُونَ﴾: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

في حوار للإمام الرضا عليه السلام قيل له: «أتقول إن الله واحد؟ قال: قولك إنه اثنان دليل على أنه واحد، والواحد متفق عليه والثاني مختلف فيه».

هناك يستثنى عن الجدال معهم بالتي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ وهم الذين لا يقنعهم وينفعهم تلك الجدال الحسنى، بل ويتلقونه هواناً منها وضعفاً ومذلة، إذاً فالجدال معهم بالتي هي أحسن إساءة وتضعيف للحق، وهنا يكون آخر الدواء الكي كلامياً أم واقعياً ذوداً عن حرمة الحق وكرامته.

فالكتابي بين متحر عن الحق فليجادل بالتي هي أحسن لكي يهتدى بالتي هي أحسن، أم لا يتحرى عن الحق ولا يتجرأ عليه إذا حصل عليه فيصدقه، أم لا يصدقه ولا يكذبه ولا يعمل دعاية ضده، أم يكذبه في حرب باردة أم وحارة، فالآخرون هم من ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ فليس الجدال بالتي هي أحسن فرضاً معهم بل قد لا يجوز، فإما تركاً لجدالهم، أم بالحسنة أم

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.